العرب
الجمعة 2020/11/13
السنة 43 العدد 11880

النحات السوري حسام نصرة يشكّل من الصلب أجسادا تروي مأساة وطن

ما تصنعه يد الفنان، هو ببساطة إسقاط فكري للجمال من حوله وداخله، فإذا كانت الرؤية البصرية على قدر ما اختزنت البصيرة يخرج إلى النور بمزيج من الفكر والفن والإبداع، وهو ما يشكّله النحات السوري حسام نصرة عبر مجسماته التي تتناول الصلب من المواد لتصنع منه أشكالا طيعة ومطواعة خامة ومعنى.

دمشق – النحت وسيلة تعبيرية بيد الفنان كما هي الكلمة بالنسبة للشاعر والكاتب، ولاسيما إن كانت فكرة العمل تتصل بموضوع ضارب في القدم وقابل للتجدّد كالمرأة والخصوبة والأرض.

ومن هذا المنطلق يحدّد الفنان التشكيلي السوري حسام نصرة تجربته النحتية إيمانا منه بأن النحات يعبّر بالقطعة التي يبدعها عمّا يعتمل في داخله ويحوّلها إلى رسائل فنية تخاطب الإنسان والمجتمعات قاطبة.

ولدى نصرة شغف كبير بتقديم منعكسات العوالم الداخلية للإنسان من خلال منحوتاته التعبيرية التي تحمل جمال الكتلة وقوة الفكرة في الوقت ذاته، وهو الذي يشكّل من مادة البرونز نساءه اللاتي يتقدن أنوثة وخصوبة.

وحول حضور الأنثى في أعماله يوضّح نصرة أن المرأة حظيت بمكانة كبيرة عند السوريين منذ القدم، وهذا يظهر في المكتشفات واللقى الأثرية التي وجدت منذ الآلاف من السنين، حيث كانت لها قدسية كبيرة واعتبرت رمزا للخصوبة والعطاء وظهرت شخصيات نسائية أثّرت في البشرية والحضارة الإنسانية كجوليا دومنا وزنوبيا، فضلا عن الأساطير وكانت بطلاتها من الإناث مثل عشتار.

حسام نصرة يرى المرأة وجها آخر لوطنه سوريا، ويستطيع من خلالها أن يحملها ما يشاء من الرموز والمعاني

ويرى النحات السوري أن المرأة وجه آخر للوطن، ويستطيع أن يحمّلها ما يشاء من الرموز والمعاني وأن يبحر في حركات الجسد والرأس واليدين والعينين بما توحي من الخصوبة والجمال.

وفي منحوتات نصرة تركيز تام على إظهار الحالات الإنسانية بوضعياتها المختلفة، إلى جانب التشكيلات الفراغية الحيوانية، وهو بذلك لا يجسد العناصر (وخاصة الأجساد) على الطريقة التقليدية، وإنما يجسّد الإحساس بمرارة الواقع الراهن، مؤكدا مشاعره وأحاسيسه وعفوية لمساته وتصوّراته، التي تلامس روح العناصر، في لحظة تحريفها وتحويرها للوصول إلى التعبير الفني المطلوب.

وحول انتصاره كفنان إلى الدراسة الأكاديمية أم الموهبة؟ وهو الذي يعدّ عصامي التكوين، يقول النحات السوري "العلم مهم جدا، ولكن الثقافة الفطرية والعفوية والتجلي يعكسان ذات الفنان وقدراته أيضا"، مشيرا إلى تجربة شيخ النحاتين السوريين سعيد مخلوف الفطرية والتي أتاحت له ترك بصمته على المحترف الفني السوري، فهو أول من مزج خامتي الخشب والحجر وهناك فنانون كثر تأثروا بتجربته.

وعن أعماله التي تناول فيها الأرض يشير إلى أنها توحي بصورة رمزية إلى الثقافة السورية المشبعة بالحضارة والفكر والعطاء، لذلك عندما ينجز منحوتة لا يطلق عليها اسما كي تبقى أكثر إيحاء ومتعددة المعاني وتحمل جذورا توحي بالتمسك بالأرض.

ونصرة الذي كان يفضل العمل بمادة البرونز دفعه غلاء هذه المادة في السنوات الأخيرة إلى اختيار خامة الحجر الصناعي لأنه مادة مطواعة، مبينا أن ما يعطي للعمل جماليته عند إنجازه هو اللمسات الأخيرة التي تأتي بعد مرحلة السكب.

كما يميل نصرة لعمل المنحوتات من الأحجام الصغيرة لأنها أنسب للاقتناء المنزلي وأكثر تداولا، لافتا إلى أن أكثر ما يهمّه في الظرف الراهن، ولاحقا أيضا، هو أن يحقق بصمة وأن يعرف المتلقي أن هذا العمل له من غير أن يرى توقيعه.

ولأن نصرة يصنّف نتاجه ضمن المدرسة التعبيرية، ولاسيما جسد الأنثى ويجد نفسه متخصصا فيه، فهو لا يحبذ أن يغير الفنان أسلوبه مع كل عمل وينتقل فجأة من مدرسة إلى أخرى.

وهو بذلك يرفض اتجاه بعض الفنانين لنسخ منحوتات عالمية، لأن الفن كما يراه "حالة إبداعية يجب أن تحقق تكاملا بين الحرفية والإبداع"، مشيرا إلى وجود منحوتات تكنيكها عال ولكن قيمتها الفنية ضعيفة، وبالمقابل هناك أعمال فطرتها جميلة ولكنها ضعيفة تقنيا لجهة السكب والتلوين والقاعدة والنسب وغيرها.

وعن تأثيرات الحرب في سوريا على منجزه الفني، يقول "منذ بداية الأزمة ومشاهدتنا كمّ الخراب والدمار في مناحي الحياة كافة، والإنسان في رأس قائمتها، أخذت أعمالي مسارا جديدا، حيث بدت الأعمال متقوقعة وخائفة، والشخوص منطوية على ذواتها. وظهرت الأجساد بحركات توحي بالعذاب والقهر والقلق والترقب، ولا يخلو بعضها من حركات منطلقة ترمي إلى التفاؤل والأمل".

ويعتبر نصرة أن الفن النحتي في المشرق تأخر عن نظيره التشكيلي رغم أنه مغرق في القدم، معيدا ذلك إلى الأثر المدمّر للاحتلال العثماني الذي ظل جاثما على الصدور زهاء أربعة قرون، حارب فيها الفن وأدّى إلى قطيعة مع التراث العربي، لذلك نهل النحاتون في مطلع القرن الماضي من الغرب وتأثروا بمدارسه ولم تحمل أعمالهم هوية مشرقية.

ويضيف مؤكّدا "لا يختلف اثنان على تأثر جيل الشباب من الفنانين بالحداثة الغربية، ويعود ذلك برأيي إلى غياب الهوية التشكيلية السورية الخاصة والمتبلورة بشكل كامل، مع وجود كمّ هائل من الضخ الثقافي وغيره الآتي من الغرب. في وقت نملك فيه جميع الاعتبارات لتكوين هوية ثقافية بصرية سورية خاصة بنا من التاريخ الحافل إلى التراث الفني وصولا إلى الفنان السوري المتميّز".

والنحات السوري حسام نصرة من مواليد عام 1978 درس النحت والفن التشكيلي دراسة خاصة، وتخرّج من مركز أحمد وليد عزت للفنون التطبيقية، وله العديد من الأعمال المميزة التي انتشرت داخل سوريا وخارجها، حصل على جائزة معرض الربيع السنوي للنحت خان أسعد باشا لعام 2015 وهو مشارك دائم في هذا المعرض.

كما أنه عضو في اتحاد الفنانين التشكيليين وقد شارك في العديد من المعارض الهامة كمعرض "الفصول الخمسة" في صالة الشعب عام 2009، وصالة الرواق العربي (2010) والمركز الثقافي في جرمانا (2013)، ومعرض الخريف السنوي (2016)، ومعرض "حالة حبق" في غاليري ألف نون بدمشق (2017)، وأعماله مقتناة داخل سوريا وخارجها.

ندوب الجراح لا تقبل الاختفاء

بيروت تستعيد «لاعب نردها الغائب» بعد طول انقطاع

بسام قهوجي يركب التجريد في معرض استثنائي في زمن حدوثه

عاد الفنان التشكيلي اللبناني ومصمم الغرافيكس بسام قهوجي، والذي يملك دارا ناشطة للنشر، بعد انقطاع مطوّل عن الأجواء التشكيلية اللبنانية ليعرض مجددا لوحاته التجريدية وأعماله الورقية والخشبية في صالة "أجيال"، تحت عنوان مربك "أن يكون قد شُيّد البنيان" حمل من الرمزية أقصى معانيها.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

بيروت – بعد انقطاع دام ربع قرن عن الساحة الفنية إثر موقف صارم أراده الفنان التشكيلي اللبناني ومصمم الغرافيكس بسام قهوجي انسحابا تكتيكيا من سوق العرض الفني الذي سيطر عليه الفن "السردي" بصوره العديدة والبعيدة عن مبدأ الفن، للفن، وخارج اختبار التجربة الفنية الخالصة والمتنصلة من كل هدف خارج ذاتها، عاد قهوجي إلى العرض ليؤكّد من جديد أن، بالنسبة له، أن العملية الفنية البحتة بكل ما تعبر من مراحل تحوّل وتبدّل هي أهم من الشكل النهائي للعمل بعد أن يتخلى عنه الفنان.

وأبرز ما حضر في المعرض المقام حاليا بقاعة "أجيال" البيروتية، هو "كيان" الأزرق الداكن الذي تشكل في هيئات تتحرّك ضمن مسارات معدومة الأهداف ويحكمها الارتجال الذي استدعاه الفنان اللبناني لكي يحل في ريشته، فيكون مفتوحا على كل الاحتمالات العارية من المعاني السردية المرتبطة والمحكومة بقوانين الزمان والمكان.

كما حضرت في لوحاته "هامة" الأسود المفتوح على تدرجاته الكئيبة التي لوّحها لون الخشب والخُضرة الفاقدة لذاكرة النُضرة، كذلك حضر البنيان والحطام، والمربعات والمستطيلات، والفراغ الصارخ في قلب الأشكال ومن حولها، والذي خط لا جدوى ما يمكن أن تقوله اللوحة من قصة أو فكرة أمام أهمية التجربة الفنية الأدائية و"نزاهة" الأشكال في بداياتها المُمكنة ونهاياتها المغلقة على العدم كمفتاح صدأ يستحيل أن يفتح بابا غير هذا الذي يفضي إليه.

عودة مربكة

عاد الفنان بسّام قهوجي اليوم إلى العرض بعد أن وجد الوقت مناسبا للعودة. واحتار كل من تمعّن بلوحاته وبقرار عودته إن كان يفرح بعودة فنان لم يتوقف عن الرسم بل فقط عن العرض، أو يحزن لأن الفنان اختار لعودته هذا الزمن الذي ارتآه مناسبا لغياب السرد فيه واضمحلال قيمة الزمن وتراتبية لحظاته. زمن مُعلّق على تفسخات وجودية ووطنية هائلة بهتت فيه الابتسامات وانحل فيها دفئ الوصال ما بين البشر.

أن تدخل إلى صالة "أجيال" البيروتية في يوم ماطر بعد انقطاع طويل سببه الأزمات المتنوعة والمتتالية التي عصفت بلبنان وصولا إلى وفاة فراس أحد العاملين بالصالة، الذين اعتدنا وجوههم اللطيفة ولياقة ودفئ استقبالهم لنا متأثرا بجراحه التي أصيب بها من جراء انفجار 4 أغسطس، يعني أن تتيقّن مرة أخرى صعوبة أن ترى في الأعمال الفنية المعاصرة والمعروضة أيا كان نوعها، إلاّ ما جلبته أو أسقطته عليها من مشاعر وأفكار.

لذلك استقبلتنا أعمال الفنان لحظة دخولنا بحالات تنضح بلا جدوى الأشياء والحوادث، مشيرة إلى هشاشة الأشكال والألوان غير الناطقة إلاّ بحالتها المُباشرة الممنوعة من التأويل.

وإذا كان لا بد من إعطاء لقب لهذا الفنان الذي اختار الزمن المناسب للعرض، حيث لا زوار كثر ولا صالات مقيمة لمعارض جديدة إلاّ صالة "أجيال" في عز ما كان يُفترض أن يكون "موسم المعارض الفنية"، سيكون لقب "لاعب النرد المستطيل"، حيث يشغل "اللعب" في بناء الأشكال أو تدميرها في كافة الأعمال حيزا أساسيا، وحيث "اللاعب/ الفنان" هو السائر على "لا هدى" حجر النرد الذي اكتسب في معظم لوحاته أشكالا مستطيلة.

وأضاف صوت انهمار المطر الداخل إلى الصالة الخالية من الزوار في هذا الوقت من النهار ووجود صورة فوتوغرافية صغيرة لفراس، على الطاولة الصغيرة القريبة من النافذة حيث كان يجلس عادة، ظهر فيها واقفا أمام إحدى اللوحات هي على الأرجح للفنان اللبناني أسامة بعلبكي، جعلت من الصالة بأسرها تجهيزا فنيا/ فراغيا يعمّق من فقدان المعنى بشكل عام، ومعنى أي عرض فني راهن بشكل خاص، ويعمّق كذلك الأمر من فكرة موت السير الشخصية والعامة على السواء.

فراغ وجودي

تضمّن المنشور المرافق لمعرض بسام قهوجي نصا مؤثرا جدا باللغة الفرنسية لرالف حداد ألقى بظله الرطب، "الضوء" وليس العتمة على كل أجواء المعرض بتقطعاته الداكنة الألوان، ومع استحالة ذكر النص بكامله هنا، نكتفي بذكر مقتطفات نثرية بنوعها وشعرية/ فلسفية/ بفحواها مُستقاة من حوار دائر ما بين رجل وامرأة عمّق من شعور الفراغ الوجودي واستحالة كل حالة حب تحت وطأته.

ويقول النص "كم الساعة؟ سألت؟/ لا يهم، أجبتها. وإذا كان وقتك مهما فيمكننا أن نستخدم وقتي أنا/ ولكن في أي نهار نحن؟/ البارحة، ربما/ هل أتيت باكرا أم متأخرة؟../ عندما يتوقّف الزمن علينا أن نُغرق السمكة../ ربما سيكون لنا الوقت الكافي لأن نكون بشرا عندما نكون منتصرين!.. تجوّلت نظراتها

أعمال فنية صرفة لا تكترث بالسرديات

اللوحات المشرفة على العبث حولت صالة «أجيال» إلى عمل فني فراغي عمّق فكرة موت السير الشخصية والعامة على السواء

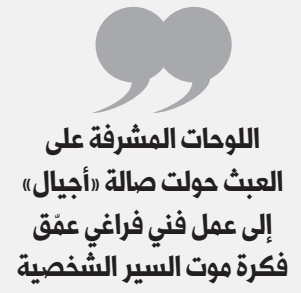

حتى حطت على لوحة فنية كانت معلقة على الجدار.. قالت: الفن هو الشفرة التي تقتطع من الأبدية الوهلة المُدهشة لتستحوذ عليها../ الوقت يا سيدتي لا يهمنا، لم تكن ندوب الجراح يوما قابلة للاختفاء. هي بوسعها فقط أن تكتسب لونا برونزيا تحت أشعة الشمس. عندها استجمعت ذاتها لتذهب نحو موت آخر".

أخبرنا صالح بركات صاحب صالة "أجيال" أنه على مدى سنوات كان يسأل الفنان "هل تريد أن تعرض أعمالك؟"، وكان يجيبه بالرفض، حتى تحوّل هذا السؤال مع مرور السنوات إلى محطة كلام ومن ثم إلى طرفة كانت تدعوهما إلى الابتسام.

مؤخرا، طرح صالح بركات سؤاله التقليدي هذا على بسام قهوجي ليجيبه هذه المرة "أجل. أريد أن أعرض اليوم أعمالي"، فكان معرضا استثنائيا في زمن حدوثه وعبثيا في ملامحه وفنيا بحتا لا يكترث بالسرديات ويؤمن بأن "ندوب الجراح لم تكن يوما قابلة للاختفاء. وأن بوسعها فقط أن تكتسب لونا برونزيا تحت أشعة الشمس".